التراث

العدد ١٥
صفر ١٤٣١ هـ
شباط ٢٠١٠ م

نشرة شهرية تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

حسين مني وأنا من حسين

صفحات الوارث

٢	قطوف دانية من السيرة الحسينية / كلام الرأس المقدس
٤	أول من زار الإمام الحسين عليه السلام
٥	خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة بعد رجوعه من الشام
٥	رد الرؤوس في العشرين من صفر
٦	في رحاب علوم القرآن / المكّيّ والمدنيّ
٨	على ضفاف نهج البلاغة / المبادئ التربوية في نهج البلاغة القسم الرابع
١٠	محطات ثقافية / الإرتجال عند العرب
١١	عبرٌ من التاريخ / أفراد يصفون طعم الموت
١٢	أخلاقك هويتك / الأخلاق الذميمة تحجب عن المعارف
١٤	مباحث عقائدية / مبحث إثبات التوحيد وأقسامه القسم الثالث
١٦	أعلام الشيعة / عبد الله بن عفيف الأزدي المستشهد في حب الإمام الحسين عليه السلام والدفاع عنه
١٨	شؤون الأسرة / العوامل المؤثرة في الحوار مع الطفل
٢٠	معارف عامة / عجائب القمر ـ الحلقة الثانية
٢١	معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم من معاجز الإمام الحسين عليه السلام

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
كرار عبدالأمير السلامي
محمد رزاق صالح

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن جواد

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

الوارث
إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩: ١٢١١

الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة
هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

تأسوا بجابر...

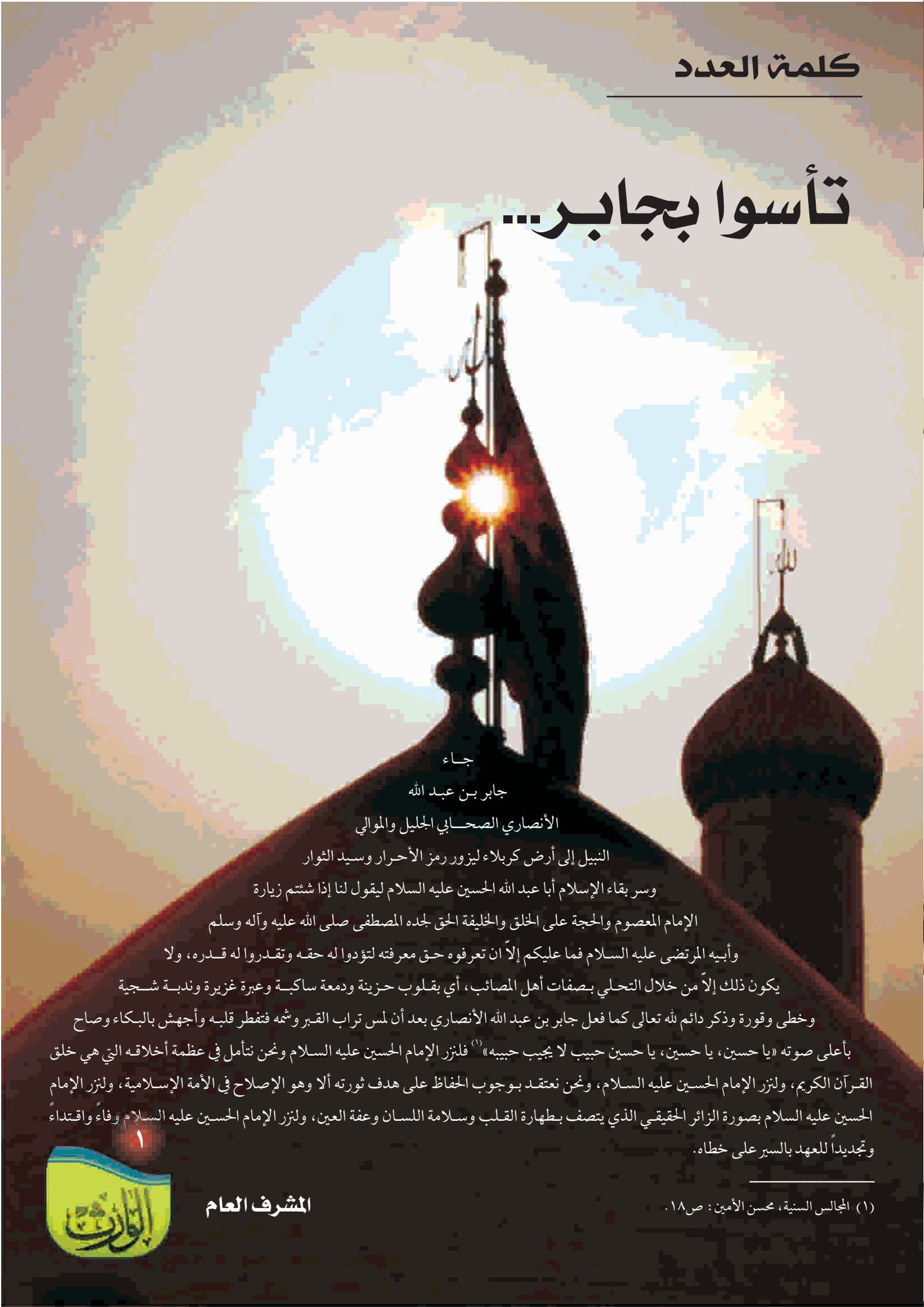

جـاء

جابر بـن عبـد الله

الأنصاري الصحـــابي الجليل والموالي

النبيل إلى أرض كربلاء ليزور رمز الأحـرار وسـيد الثوار

وسر بقاء الإسلام أبا عبد الله الحسين عليه السلام ليقول لنا إذا شئتم زيارة

الإمام المعصوم والحجة على الخلق والخليفة الحق لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

وأبـيه المرتضى عليه السـلام فما عليكم إلاّ ان تعرفوه حـق معرفته لتؤدوا له حقـه وتقـدروا له قـدره، ولا

يكون ذلك إلاّ من خلال التحلي بـصفات أهل المصائب، أي بقـلوب حـزينة ودمعة ساكبـة وعبرة غزيرة وندبـة شـجية

وخطى وقورة وذكر دائم لله تعالى كما فعل جابر بن عبد الله الأنصاري بعد أن لمس تراب القـبر وشمه فتفطر قلبـه وأجهش بالبـكاء وصاح

بأعلى صوته «يا حسين، يا حسين، يا حسين حبيب لا يجيب حبيبه»[1] فلنزر الإمام الحسين عليه السـلام ونحن نتأمل في عظمة أخلاقـه التي هي خلق

القـرآن الكريم، ولنزر الإمام الحسـين عليه السـلام، ونحن نعتقـد بـوجوب الحفاظ على هدف ثورته ألا وهو الإصلاح في الأمة الإسـلامية، ولنزر الإمام

الحسين عليه السلام بصورة الزائر الحقيقـي الذي يتصف بـطهارة القـلب وسـلامة اللسـان وعفة العين، ولنزر الإمام الحسـين عليه السـلام وفاءً واقـتداءً

وتجديداً للعهد بالسير على خطاه.

(١) المجالس السنية، محسن الأمين: ص١٨.

المشرف العام

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا
يكسوه من أنواره جلبابا
يتلو الكتاب على السنان وإنما
رفعوا به فوق السنان كتابا[1]

كلام الرأس المقدّس

لم يزل السبط الشهيد حليف القرآن منذ أنشئ كيانه لأنهما ثقلا رسول الله وخليفتاه على أمته، وقد نص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، فبذلك كان الحسين غير مبارح تلاوته طيلة حياته في تهذيبه وإرشاده وتبليغه في حله وترحاله حتى في موقفه يوم الطف بين ظهران أولئك المتجمهرين عليه ليتم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة.

هكذا كان ابن رسول الله يسير إلى غايته المقدسة سيراً حثيثاً حتى جعل يتلو القرآن رأسه المطهر فوق عامل السنان عسى أن يحصل في القوم من يهبره نور الحق، غير أن داعية الهدى لم يصادف إلا قصوراً في الإدراك وطبعاً في القلوب وصمماً في الآذان:

«خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ».

ولا يستغرب هذا من يفقه الأسرار الإلهية فإن المولى سبحانه بعد أن أوجب على سيد الشهداء النهضة لسد أبواب الضلال بذلك الشكل المحدد الظرف والمكان والكيفية لمصالح أدركها الجليل جل شأنه فأوحى إلى نبيه الأقدس أن يقرأ هذه الصفحة الخاصة على ولده الحسين عليه السلام فلا سبيل إلا التسليم والخضوع للأصلح المرضي لرب العالمين:

«لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ».

وحيث أراد المهيمن تعالى بهذه النهضة المقدسة تعريف الأمة الحاضرة والأجيال المتعاقبة ضلال الملتوين عن الصراط السوي العابثين بقداسة الشريعة أحب الإتيان بكل ما فيه توطيد أسس هذه الشهادة التي كتبت بدمها الطاهر صحائف نيرة من أعمال الثائرين في وجه المنكر فكانت هذه محفوفة بغرائب لا تصل إليها الأفهام ومنها استشهاد الرأس المعظم بالآيات الكريمة والكلام من رأس مقطوع أبلغ في إتمام الحجة على من أعمته الشهوات عن إبصار الحقائق وفيه تركيز العقائد على أحقية دعوته التي لم يقصد بها إلا الطاعة لرب العالمين ووخامة عاقبة من مد عليه يد السوء والعدوان كما نبه الأمة على ضلال من جرأهم على الطغيان ولا بدع في القدرة الإلهية إذا مكنت رأس الحسين من الكلام للمصالح التي نقصر عن الوصول إلى كنهها بعد أن أودعت في (الشجرة)[2]، قوة الكلام مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام عند المناجاة، وهل تقاس الشجرة برأس المنحور في طاعة الرحمن سبحانه؟... كلا.

يا ابن رسول الله رأسك أعجب وأعجب[3].

ولما نصب الرأس الأقدس في موضع الصيارفة وهناك لغط المارّة وضوضاء المتعاملين، فأراد سيد الشهداء توجيه النفوس نحوه ليسمعوا بليغ عظاته فتنحنح الرأس تنحنحاً عالياً فاتجهت إليه الناس واعترتهم الدهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتنحنح قبل يوم الحسين عليه السلام فعندها قرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى:

«إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى».

«وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا».

وصلب على شجرة فاجتمع الناس حولها ينظرون إلى النور الساطع فأخذ يقرأ:

«وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ».

قال هلال بن معاوية: رأيت رجلاً يحمل رأس

الحسين عليه السلام والرأس يخاطبه: فرقت بين رأسي وبـــدني فرق الله بـــين لحمك وعظمك وجعلك آية ونكالاً للعالمين فرفع السوط وأخذ يضرب الرأس حتى سكت[٤].

وسمع سلمة بن كهيل الرأس يقرأ وهو على القنا: «فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ».

ويحدث ابـن وكيدة أنه سمع الرأس يقـرأ سـورة الكهف فشك في أنه صوته أو غيره فترك عليه السلام القراءة والتفت إليه يخاطبه: يا ابن وكيدة أما علمت أنا معشر الأئمة أحياء عند ربهم يرزقون؟

فعزم على أن يسرق الرأس ويدفنه.

وإذا الخطاب من الرأس الأزهر: يا ابـــن وكيدة ليس إلى ذلك من سبيل إن سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييري على الرمح فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون[٥].

قال المنهال بن عمرو:

رأيت رأس الحسين بدمشق على رمح وأمامه رجل يقـرأ سـورة الكهف حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى:

« أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ».

نطق الرأس بلسان فصيح: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي[٦].

ولما أمر يزيد بقتل رسول ملك الروم حيث أنكر عليه فعلته نطق الرأس بصوت رفيع: (لا حـول ولا قوة إلا بالله)[٧].

أروحـــك أم روح النبـــوة تصعد
من الأرض للفردوس والحور سجّد
ورأسك أم رأس (الرسول) على القنا
بـــــآية (أهل الكهف) راح يردد
وصدرك أم مستودع العلم والحجى
لتحـــطيمه جيش من الجهل يعمد
وأمـــك أم (أم الكتـــاب) تنهـــدت
فذاب نشـــيجاً قلبـــها المتنهد
وشاطرت الأرض السماء بشجوها
فواحـــــدة تنعى وأخرى تعدد
وقـد نصب (الوحـي) العزاء ببـيته
عليك حـــــداداً والمعزّى (محمد)
يلوح له (الثقـــلان) ثقـــل ممزق
بســـهم وثقـــل بالســـيوف مقـــدد
فعترته بالسـيف والسـهم بـعضها
شـــهيد وبـــعض بـــالفلاة مشـــرد
وأي شهيد أصلت الشمس جسمه
ومشـــــــهدها من أصله متولد
وأي ذبـــيح داســـت الخيل صدره
وفرســـــــانها من ذكره تتجمد
ألم تـــكُ تـــدري أن روح (محمـــد)
كقـــرآنه في (سبـــطه) متجســـد
فلـو علمـت تلـك الخيـول كأهلهـا
بـــأن الذي تحت السنابـــك (أحمد)
لثارت على فرســـــــانها وتمردت
عليهـم كمـا ثـاروا بهـا وتمـردوا
فرى الغيُّ نحراً يغبـط البـــدر نوره
وفي كل عرق منه للحـــق فرقـــد
وهشـــم أضلاعاً بها العطف مودع
وقـــطع أنفاســـاً بها اللطف موجد
وأعظم ما يشـجي النفوس حـرائر
تضام وحـاميها (الوحـيد) مقـيد
فمن موثق يشـكو التشـدد من يد
وموثقـــة تبـــكي فتلطمها اليد
كأن رســـول الله قـــال لقـــومه
خذوا وتركم من عترتي وتشـددوا[٨][٩]

---

١) الدر النضيد، السيد محسن الأمين: ص٣٦، وفيه أنهما للسيد رضا الهندي.

٢) الدر المنثور: ج٢، ص١١٩. آية «رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ». بحار الأنوار: ج٥، ص٢٧٨، نقلا عن المنهج. قصص الأنبياء، الثعالبي: ص١٢٠، الباب ٨، خروج موسى من مدين.

٣) إرشاد المفيد والخصائص الكبرى: ج٢، ص١٢٥.

٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٢، ص١٨٨.

٥) شرح قصيدة أبي فراس: ص١٤٨.

٦) الخصائص للسيوطي: ج٢، ص١٢٧.

٧) مقتل العوالم: ص١٥١.

٨) من قصيدة للسيد صالح ابن العلامة السيد مهدي بحر العلوم.

٩) مقتل الحسين عليه السلام، للسيد المقرم ٣٤٨ ـ ٣٥٢.

أول من زار

الإمام الحسين عليه السلام

ان أول شخص تشرف بزيارة الإمام الحسين ﷺ في يوم العشرين من صفر هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه فلذا ورد في مصباح الشيخ قوله: وفي اليوم العشرين من صفر كان رجوع حرم الحسين ﷺ من الشام إلى مدينة الرسول ﷺ وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري (رضي الله عنه) صاحب رسول الله ﷺ من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن علي ، فكان أوّل من زاره من الناس.

في كتاب الاستيعاب: (هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمر بن سواد بن سلمة الأنصاري السلمي من بني سلمة ويقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة.

كان من أجلاء المفسرين كما عن أبي الخير في طبقات المفسرين والسيوطي، وشهد صفين مع علي ﷺ، وكان منقطعاً إلى أهل البيت ...

وعده ابن عبد البر ممن فضل علياً على غيره، ونص على تشيعه ابن شاذان وابن عقدة والكشي: هو أول زائر للحسين ﷺ، وذكره الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الرسول ﷺ فقال: جابر بن عبد الله بن حرام، نزل المدينة شهد بدراً وثماني عشرة غزوة مع النبي ﷺ، مات سنة ٧٨.

وذكره في أصحاب علي ﷺ فقال: (جابر بن عبد الله الأنصاري المدني العربي الخزرجي.

وذكره في أصحاب الحسن والحسين ، فقال، جابر بن عبد الله الأنصاري.

وذكره في أصحاب علي بن الحسين ، فقال، جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وذكره في أصحاب الباقر ﷺ فقال: جابر بن عبد الله بن حرام أبو عبد الله الأنصاري صحابي.

وفي الخلاصة: جابر بن عبد الله من أصحاب رسول الله ﷺ شهد بدراً).

وأورد الكشي في مدحه روايات كثيرة من غير أن يورد ما يخالفها.

قال الفضل بن شاذان: إنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ﷺ.

قال ابن عقدة: إن جابر بن عبد الله منقطع إلى أهل البيت.

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة بعد رجوعه من الشام

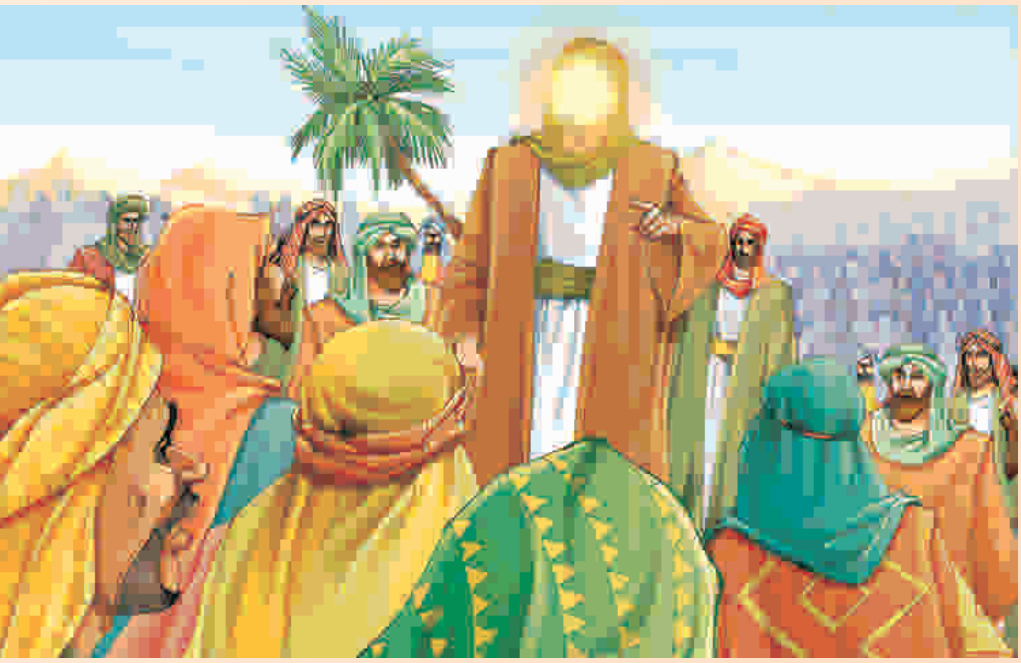

حينما وصل الإمام زين العابدين ﷺ إلى مشارف المدينة المنورة طلب من بشر بن حذلم ان ينعى الحسين عليه السلام فذهب بشر ونادى يا أهل يثرب ...، فخرجت الناس من كل حدب وصوب وأحاطوا بالفسطاط الذي كان فيه الإمام ﷺ فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسي، فوضعه له وجلس عليه، وهولا يتمالك عن العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين النسوان فضجت تلك البقعة ضجة شديدة فأومأ (الإمام زين العابدين ﷺ) إلى الناس أن اسكتوا، فلما سكنت فورتهم قال ﷺ: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بَعُد فارتفع في السموات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب، الفاظعة الكاظة، الفادحة الجائحة.

أيها القوم، إن الله تعالى - وله الحمد - ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله الحسين ﷺ وعترته، وسُبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السنان. وهذه الرزية لا مثلها رزية. أيها الناس فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أي فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم اية عين منكم تحبس دمعها، وتضنّ عن انهمالها؟ فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقربون، وأهل السموات أجمعون. أيها الناس، أي قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أي فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أي سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم؟.

أيها الناس، اصبحنا مشردين مطرودين، مذودين شاسعين عن الأمصار، كأنا أولاد تُرك وكابل، من غير جُرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إنْ هذا إلا اختلاق. والله لو أن النبي ﷺ تقدم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا، لما زادوا على ما فعلوا بنا. فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها وأفظعها وأمرّها وأفدحها، فعند الله نحتسب ما أصابنا، وما بلغ بنا، فإنه عزيز ذو انتقام (أعيان الشيعة: ج١، ص٦١٨).

ردّ الرؤوس في العشرين من صفر

جاء النصّ على مجيء الإمام زين العابدين ﷺ بالرؤوس معه إلى كربلاء في عدة مصادر (نفس المهموم: ص ٢٥٣. رياض الأحزان: ص١٥٥)، بل أن هناك روايات مستفيضة عند الإمامية برد رأس الحسين ﷺ إلى كربلاء.

١. قال السيد المقرّم: أما عن رأس الحسين ﷺ فقد نصت الروايات العديدة على مجيء الإمام زين العابدين ﷺ بالرأس الشريف إلى كربلاء ودفنه مع الجسد (المقتل: ص ٣٨٢).

٢. وقال الفتال النيسابوري وابن نما الحلي: (إن دفن الرأس الشريف مع الجسد هو المعول عليه عند الإمامية) (أعلام الورى: ص ١٥١).

٣. قال الطبرسي: (عليه عمل الإمامية - أي: دفن الرأس مع الجسد) (مناقب آل أبي طالب ﷺ لابن شهر آشوب: ج٣، ص ٢٣١، ط المطبعة الحيدرية).

٤. قال الشريف المرتضى: (إن الرأس الشريف أعيد إلى بدنه بكربلاء) (العوالم للشيخ البحراني: ص ٣٢٧).

٥. أما الشيخ الطوسي فقد عدّ رجوع الرأس الشريف إلى الجسد (منه كانت زيارة الأربعين) (إقبال الأعمال: ج ٣، ص ١٠، ط مكتب الإعلام الإسلامي).

٦. قال السيد ابن طاووس: (في العشرين من صفر رُدّ رأس الحسين ﷺ إلى جسده) (المقتل: ص٣٨٣).

٧. يقول السيد المقرّم: (وعلى هذا فلا يعبأ بكل ما ورد بخلافه ورحمه الله الحاج مهدي الفلوجي الحلي حيث قال:

لاتطلبوا رأس الحسين فإنه
لافي حمىً ثاوٍ ولا في وادِ
لكنما صَفوُ الولاء يدلّكم
في أنه المقبور وسط فؤادي

(مقتل الحسين للسيد المقرم: ص٣٨٣).

المكّيّ والمدنيّ

يقسم القرآن في عرف علماء التفسير إلى مكي ومدني، فبعض آياته مكية وبعض آياته مدنية. وتوجد في التفسير اتجاهات عديدة لتفسير هذا المصطلح:

أحدهما: الاتجاه السائد وهو تفسيره على أساس الترتيب الزماني للآيات واعتبار الهجرة حداً زمنياً فاصلاً بين مرحلتين، فكل آية نزلت قبل الهجرة تعدّ مكية، وكل آية نزلت بعد الهجرة فهي مدنية، وإن كان مكان نزولها (مكة)، كالآيات التي نزلت على النبي حين كان في مكة وقت الفتح، فالمقياس هو الناحية الزمنية لا المكانية.

والاتجاه الآخر: هو الأخذ بالناحية المكانية مقياساً للتمييز بين المكي والمدني، فكل آية يلاحظ مكان نزولها، فإن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين نزولها في مكة سميت مكية، وإن كان حينذاك في المدينة سميت مدنية.

والاتجاه الثالث: يقوم على أساس مراعاة أشخاص المخاطبين، فهو يعدّ إن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة. ويمتاز الاتجاه الأول عن الاتجاهين الآخرين بشمول المكي والمدني على أساس الاتجاه الأول لجميع آيات القرآن، لأننا إذا أخذنا بالناحية الزمنية، كانت كل آية في القرآن إما مكية وإما مدنية، لأنها إذا كانت نازلة قبل هجرة النبي إلى المدينة ودخوله فيها فهي مكية، وإن نزلت على

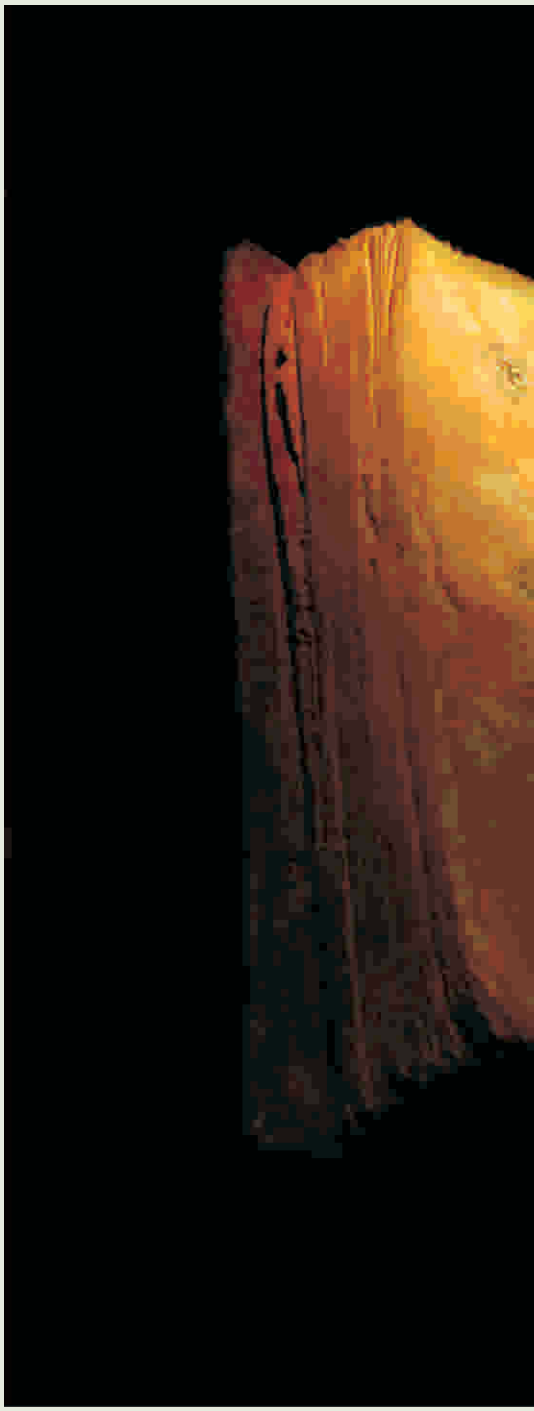

النبي في طريقه من مكة إلى المدينة، إذا كانت نازلة بعد دخول النبي مهاجراً إلى المدينة فهي مدنية مهما كان مكان نزولها.

وأما على الاتجاهين الأخيرين في تفسير المصطلح، فقد نجد آية ليست مكية ولا مدنية، كما إذا كان موضع نزولها مكانا ثالثا لا مكة ولا المدينة ولم تكن خطابها لأهل مكة أو أهل المدينة نظير الآيات التي نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معراجه أو إسرائه.

الترجيح بين الاتجاهات الثلاثة

وإذا أردنا أن نقارن بين هذه الاتجاهات الثلاثة لنختار واحداً منها، فيجب أن نطرح منذ البدء الاتجاه الثالث، لأنه يقوم على (أساس خاطئ) وهو الاعتقاد بأن من الآيات ما يكون خطاباً لأهل مكة خاصة، ومنها ما يكون خطاباً لأهل المدينة. وليس هذا بصحيح فإن الخطابات القرآنية عامة وانطباقها حين نزولها على أهل مكة أو على أهل المدينة، لا يعني كونها خطاباً لهم خاصة، أو اختصاص ما تشتمل عليه من توجيه أو نصح أو حكم شرعي، بل هي عامة ما دام اللفظ فيها عاما كما عرفنا.

والواقع إن لفظ المكي والمدني ليس لفظاً شرعياً حدد النبي مفهومه لكي نحاول اكتشاف ذلك المفهوم، وإنما هو مجرد اصطلاح تواضع عليه علماء التفسير، وما من ريب في أن كل أحد له الحق في أن يصطلح كما يشاء، ولا نريد هنا أن نخطّئ الاتجاه الأول أو الاتجاه الثاني، ما دام لا يعبر كل منهما إلا عن اصطلاح، من حق أصحاب ذلك الاتجاه أن يضعوه. ولكنا نرى أن وضع مصطلح المكي والمدني على أساس الترتيب الزمني كما يقرره الاتجاه الأول، أنفع وأفيد للدراسات القرآنية، لأن التمييز من ناحية زمنية بين ما أنزل من القرآن قبل الهجرة، وما أنزل بعدها أكثر أهمية للبحوث القرآنية من التمييز على أساس المكان، بين ما أنزل على النبي في مكة، وما أنزل عليه في المدينة، فكان جعل الزمن أساسا للتمييز بين المكي والمدني واستخدام هذا المصطلح لتحديد الناحية الزمنية أوفق بالهدف.

وتتجلى أهمية التمييز الزمني من التمييز المكاني في نقطتين:

احداهما: (فقهية)، أي أنها ترتبط بعلم الفقه ومعرفة الأحكام الشرعية، وهي أن تقسيم الآيات على أساس الزمن إلى مكية ومدنية، وتحديد ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعد الهجرة، يساعدنا على معرفة الناسخ والمنسوخ، لأن الناسخ متأخر بطبيعته على المنسوخ زماناً، فإذا وجدنا حكمين ينسخ أحدهما الآخر، استطعنا أن نعرف الناسخ عن طرق التوقيت الزمني، فيكون المدني منهما ناسخاً للمكي لأجل تأخره عنه زماناً.

والأخرى هي: أن التقسيم الزمني للآيات إلى مكية ومدنية يجعلنا نتعرف على مراحل الدعوة التي مر بها الإسلام على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الهجرة المباركة ليست مجرد حادث عابر في حياة الدعوة، وإنما هي حد فاصل بين مرحلتين من عمر الدعوة وهما مرحلة العلم في ضمن المجتمع التي تحكمه السلطة الكافرة المهيمنة على جميع الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، ومرحلة العمل ضمن دولة الإسلام، ولئن كان بالإمكان تقسيم كل من هاتين المرحلتين بدورها أيضاً إلى مقاطع زمنية، فمن الواضح على أي حال أن التقسيم الرئيس هو التقسيم على أساس الهجرة.

فإذا ميزنا بين الآيات النازلة قبل الهجرة وما نزل منها بعد الهجرة استطعنا أن نواكب تطورات الدعوة والخصائص العامة التي تجلت فيها خلال كل من المرحلتين.

وأما مجرد أخذ مكان النزول بعين الاعتبار، وإهمال عامل الزمن، فهو لا يمدنا بفكرة مفصلة عن هاتين المرحلتين، ويجعلنا نخلط بينهما، كما يحرمنا من تمييز الناسخ عن المنسوخ من الناحية الفقهية. وسوف يتضح أيضاً المزيد من الأهمية عند دراستنا لخصائص المكي والمدني. فلهذا كله نؤثر الاتجاه الأول في تفسير المكي والمدني، وعلى هذا الأساس سوف نستعمل هذين المصطلحين[1].

---

١. علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، ص٨١ ـ ٨٤.

المبادئ التربوية في نهج البلاغة

القسم الرابع

تحدثنا في الأعداد السابقة عن سبعة من المبادئ التربوية التي يمكن استنتاجها من نصوص كتاب نهج البلاغة، وسنذكر في هذا العدد ثلاثة مبادئ أخرى من تلك المبادئ التي يمكن لها ان تكون ركائز مهمة من ركائز تربية النفس وتهذيبها والترقي بواسطتها نحو مدارج الكمال الإنساني.

٨: مبدأ التعقل

لم يمنع اعتقاد الإمام عليه السلام الجازم بالغيب من الإيمان بقدرة العقل وبضرورة تنميته والاعتماد عليه في تقدير الأمور واتخاذ القرارات والتمييز بين الحق والباطل. ولقد أكد الإمام عظيم قيمة العقل في الكثير من خطبه ورسائله ووصاياه وحكمه، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (إن أغنى الغنى العقل)، وقال عليه السلام أيضا: (إن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة).

أما سبب هذا التعظيم للعقل، فيعود لكونه أداة معرفة الله وفهم دينه واستحقاق ثوابه وإنجاز خلافته؛ فكما لا عمارة للأرض من دون حرية فلا عمارة من دون إعمال للعقل. يقول عليه السلام في تفريقه ما بين التدين المبني على وعي وإدراك وبين التدين المبني على مجرد النقل والسماع فيقول عليه السلام في وصفه آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنهم: «عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ودراية، فإن رواة العلم كثير ووعاته قليل».

وفي موضع آخر يعدّ الإمام عليه السلام الإسلام دينا لا يقدره حق قدره إلا ذو لب وفهم، كما عدّ الإمام عليه السلام، ما أعطاه الله للإنسان من حواس مختلفة ما هي إلا أدوات ليسخرها العقل في سبيل التفهم والاعتبار فيقول: «ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا».

إلا أن هذا المقام العظيم هو للعقل الراجح لا المخدوع. ولا يكون راجحا إلا إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا كما يقول في نصيحته عليه السلام لشريح القاضي: «شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا».

٩: مبدأ الواقعية

ان دعوة الإمام لاحترام العقل والاستعانة به في حسن تقدير الأمور يترافق مع دعوته للناس إلى الواقعية والموضوعية، كقوله عليه السلام: «وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، والتواني فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت وضع كل أمر موضعه،

وأوقع كل عمل موقعه».

كذلك يمكننا استفادة هذا المعنى من الدعوة للتواضع أمام من هم أعلم منا، فيقول عليه السلام: «من أبدى صفحته للحق هلك وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره».

١٠: مبدأ اللطف

بالرغم من الصرامة التي دعا الإمام أصحابه للأخذ بها في مجال تهذيبهم لأنفسهم، ناصبا لهم من نفسه القدرة (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه)، إلا أنه في مجال التربية كان ينطلق من مبدأ اللطف ومراعاة تفاوت قدرات البشر. وقد تكشف لنا هذا المبدأ في فكر الإمام من خلال أمور ثلاثة:

ألف: تأكيده، في مواضع كثيرة، على رحمة الله ورأفته ولطفه بعباده، وقبوله لأعمالهم بحسب قدراتهم، وستره عليهم، وقبول اعتذارهم. من مثل قوله عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: (واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعالجك بالنقمة، ولم يعيّرْك بالإنابة. ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة).

باء: أسلوبه التربوي مع أولاده وأصحابه؛ ففي وصيته لابنه الحسن عليه السلام نجده يستعمل أسلوبا يفيض بالحب والإشفاق والرحمة: «فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة).

وفي أعقاب وصفه للاقتداء به لا يكلفهم بما كلف به نفسه فيقول عليه السلام في أعقاب وصفه لجهاده لنفسه: (ألا إنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد).

وفي علاقة المؤمنين فيما بينهم يطلب منهم أن يعاون قويهم ضعيفهم وأن يرفق بعضهم ببعض حتى في مجال العبادة والإيمان فيقول عليه السلام: (إنما ينبغي لأهل العصمة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم)، ويقول عليه السلام: (يا عبد الله، لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصيته فلعلك معذب عليه)، ويبرز هذا المبدأ أكثر ما يبرز في دعوته أصحابه أثناء القتال لمراعاة اختلاف قدراتهم البدنية والنفسية فيقول عليه السلام: (وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله).

جيم: دعوته ولاته للرفق بضعاف المسلمين وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، كما يظهر بوضوح من خلال توجيهاته لعماله على الصدقات والخراج كقوله عليه السلام: (واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة. ولا تحسموا أحدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها).

ومن خلال توجيهاته لقواد جيشه كما جاء في وصيته لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام: (ولا يحملكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم). ومن خلال عهوده لولاة أمره في المناطق وأشهرها عهده عليه السلام لمالك الأشتر، فالدارس لهذا العهد يلمس بوضوح دعوة الإمام عليه السلام لمبدأ اللطف بالناس، وحسبنا في ذلك ما ورد بخصوص كيفية إمامة المصلين، حيث يقول عليه السلام: (وإذا أقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة. وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما)[1].

---

(١) المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة (دراسة مقارنة)، أميرة برغل، ص٢٠٩ – ٢١٧، مع تصرف بسيط.

الارتجال عند العرب

بدأت الحياة في الجاهلية، مرتجلة يعيشها البدوي، وكأنه على سفر متواصل لا قرار ولا تركيز، لا تحضير ولا ثبات. العجلة قوام حياته، والبديهة لطامُها والحالة هذه لا بد له من ذكاء فطري. وقد عرف بهذا الذكاء الذي ميزه عن غيره، من أبناء الشعوب الأخرى المحيطة ولكنه ذكاء أفاد منه البدوي، في حالات معينة، إلا أنه فقد مقومات النهضة الاجتماعية، التي تحتاج فيما تسعى إليه، الكثير من الاستعداد الدائب والجهد اللاهب، لا سيما في حقول العلم والمعرفة والنقب على أسس الحضارات الإنسانية والغوص على مضامين الدراسات الثرة، التي ما طال الوقت، حتى اتجهت نحوها أفكار المثقفين العرب، في العصور الذهبية من عهود بني العباس والنهضة الحديثة والحديث في موضوع الارتجال، وبخاصة الارتجال في الأدب، شيق ومثير ومفيد. قيل إن شاعراً يدعى السراج الوراق، ارتجل يوما وهو بحضرة أمير، يدعى ضياء الدين قوله :

أمولانا ضياء الدين دم لي
وعش فبقاء مولانا بقائي
فلولا أني ما أغنيت شيئا
وما يغني السراج بلا ضياء

وسئل يوماً أن يرتجل بيتين يوري فيهما بلقبه فقال :

يا خجلي وصحائفي سودا غدت
وصحائف الأبرار في إشراق
وتوبّخ يوم القيامة قال لي
أكذا تكون صحائف الوراق؟

من الارتجالات الرائعة في الأدب العربي، ما جرى لأبي تمام في مدحه بقصيدة سينية شهيرة. قيل : فلما وصل في إنشاده إلى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء أياس

قال أبو يوسف بن صباح الكندي الفيلسوف وكان حاضرا : الأمير فوق من وصفت، كيف تشبهه بمن هم دونه، فأطرق أبو تمام قائلاً، ثم واصل إنشاده.

لا تنكروا ضربي له من دونه
مثلاً شروداً في الندى والباس
الله قد ضرب الأقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

ولما أخذت القصيدة منه لم يجدوا فيها هذين البيتين، فدهشوا من سرعته وفطنته.

ومن حديث الارتجال ما يروى في هذا الموضوع، أن النابغة الذبياني دخل على النعمان بن المنذر يوما فأنشد :

تخف الأرض إن تفقدك يوما
وتبقى ما بقيت بها ثقيلا

فنظر إليه النعمان بغضب، فهب الشاعر كعب بن زهير وكان حاضرا فقال : أصلح الله الملك! إن مع هذا البيت بيتاً آخر ضل عنه، هو :

لأنك موضع القسطاس منها
فتمنع جانبيها أن تميلا

فضحك النعمان وأمر لهما بجائزتين.

أدب البديهة

إن كثيرين من الأدباء أنقذوا حياتهم من الموت بفضل ارتجالهم وفصاحة لسانهم، ومن أخبار ذلك أن أديباً وشي به إلى المعتصم فأمر بإحضاره، فأوقف بين يديه مقيداً ثم جيء بالسيف والنطع وتهيأ السياف لقطع رأسه، وكان الأديب جميلاً وسيماً فأحب المعتصم أن يعلم أين لسانه من منظره. فقال له : تكلم أيها الرجل نثراً وشعراً فإذا أحسنت في الكلام فقد تنقذ رأسك من الحسام. فقال : أما إذا أذنت لي فأنا أقول : إن الذنوب تخرس الألسن الفصيحة وتعيي الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجررة، وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك.

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظني من حيث ما أتلفتُ
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
وأي امرئ مما قضى الله يفلت
وأيُّ امرئ يأتي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من أن أموت وإنني
لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن ورائي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وإن متُّ موتوا

فابتسم المعتصم وقال : قد وهبتك للصبية، وغفرت لك الصبوة، ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه.

هذه شذرات من أدب الارتجال عند العرب، وقد لا يكون من المغالاة القول إنه لم تكن بين أمم العالم وشعوبه كلها، أمة واحدة استطاعت أن تبز العرب أو تدانيهم في ميدان الارتجال[1].

---

(١) كشكول الثقافة : د. حبيب عبد الكريم محفوظ، ص ٣٧٠ - ٣٧٤.

أفراد يصفون طعم الموت

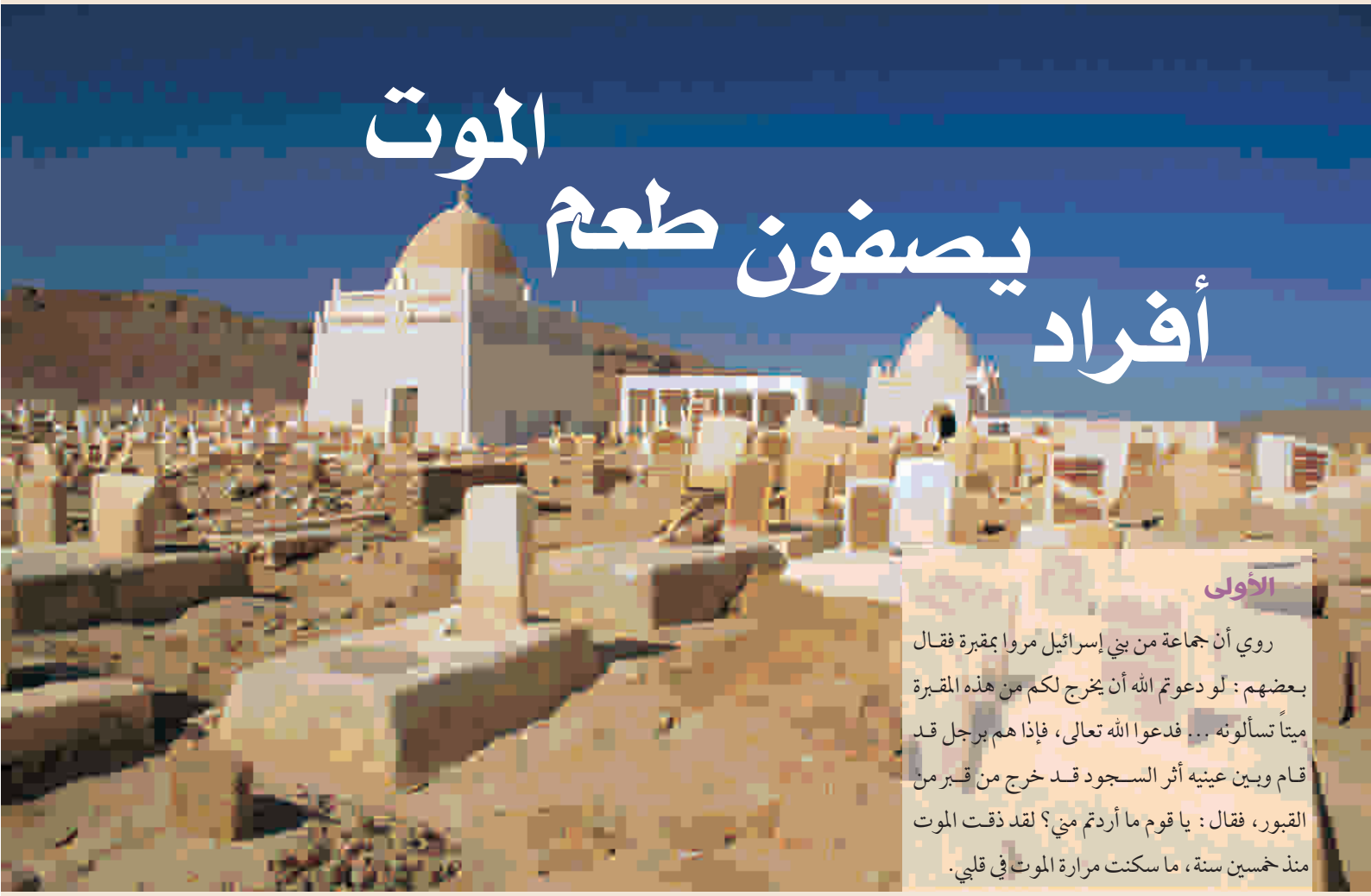

الأولى

روي أن جماعة من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم: لو دعوتم الله أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتاً تسألونه... فدعوا الله تعالى، فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور، فقال: يا قوم ما أردتم مني؟ لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة، ما سكنت مرارة الموت في قلبي.

الثانية

ونقل عن (الكافي) بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام: أن عيسى ابن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وقد سأل ربه أن يحييه له، فدعاه فأجابه، وخرج إليه من قبره، فقال له: ما تريد مني؟ قال: أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا. فقال له: يا عيسى ما سكنت مرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا، وتعود عليَ مرارة الموت، فتركه فعاد إلى قبره.

الثالثة

ذكر أن فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين، وكانت العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل وأنهم خرجوا يسيرون في البلاد، فمروا بقبر على الطريق قد سفي[1] عليه السافي ليس يتبين منه إلا رسمه[2] فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فسألناه كيف وجد طعم الموت، فدعوا الله فكان دعاؤهم الذي دعوا الله به: أنت إلهنا يا ربنا ليس لنا إله غيرك والبديع الدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، لك في كل يوم شأن، تعلم كل شيء بغير تعليم، أنشر لنا الميت بقدرتك. قال: فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللحية ينفض رأسه من التراب فزعاً، شاخصا بصره إلى السماء فقال لهم: ما يوقفكم على قبري؟.

فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت؟ فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسعاً وتسعين سنة ما ذهب عني ألم الموت وكربه، ولا خرجت مرارة طعم الموت من حلقي.

فقالوا له: مت يوم مت وأنت على ما نرى أبيض الرأس واللحية؟ قال: لا، ولكن لما سمعت الصيحة اجتمعت تربة عظامي إلى روحي فبقيت فيه فخرجت شاخصا بصري مهطعا[3] إلى صوت الداعي فابيض لذلك رأسي ولحيتي.

الرابعة

ذكر أن أصحاب عيسى عليه السلام سألوه أن يحيي لهم سام بن نوح، فأتى بهم إلى قبر سام فتكلم بكلام فانشق القبر، ثم أعاد الكلام فتحرك، ثم أعاد الكلام فخرج سام بن نوح. فقال عيسى عليه السلام: أيهما أحب إليك تبقى أو تعود؟ فقال: يا روح الله بل أعود، إني لأجد حرقة الموت، ولدغة[4] الموت في جوفي إلى يومي هذا[5][6].

---

١. سفي الريح التراب: ذرته أو حملته. لسان العرب: ١٤/ ٣٨٩، مادة سفا.

٢. الرسم: تمثيل الشيء (العلامة)، المنجد في اللغة: ٢٥٩، مادة رسم.

٣. مهطع: الذي ينظر في ذل وخشوع. لسان العرب: ٨/ ٣٧٢، مادة هطع.

٤. اللدغة: اللسعة. لسان العرب: ٨/ ٤٤٨، مادة لدغ.

٥. درر الأخبار فيما يتعلق بحال الاحتضار: ١/ ٢٣٢.

٦. عبر من التاريخ: الشيخ باقر المحسني، ج١، ص١٤-١٦.

الأخلاق الذميمة تحجب عن المعارف

الأخلاق المذمومة هي الحجب المانعة عن المعارف الإلهية، والنفحات القدسية إذ هي بمنزلة الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم تتضح لها جلية الحال اتضاحاً، كيف والقلوب كالأواني فإذا كانت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها معرفة الله وحبه وأنسه، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض» فبقدر ما تتطهر القلوب من هذه الخبائث تتحاذى شطر الحق الأول وتتلألأ فيها حقائقه كما أشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» فإن التعرض لها إنما هو بتطهير القلوب عن الكدورات الحاصلة عن الأخلاق الردية فكل اقبال على طاعة واعراض عن سيئة يوجب جلاءً ونوراً للقلب يستعد به لإفاضة علم يقيني، ولذا قال سبحانه: « وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من عمل بما

علم ورثه الله علم ما لم يعلم» فالقلب إذا صفى عن الكدورات الطبيعية بالكلية يظهر له من المزايا الإلهية والإفاضات الرحمانية ما لا يمكن لاعاظم العلماء كما قال سيد الرسل: «إن لي مع الله حالات لا يحتملها ملك مقرب ولا نبي مرسل».

وكل سالك إلى الله إنما يعرف من الألطاف الإلهية والنفحات الغيبية ما ظهر له على قدر استعداده، وأما ما فوقه فلا يحيط بحقيقته علماً لكن قد يصدق به إيماناً بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وخواصها ونصدّق بوجودهما ولا نعرف حقيقتهما كما لا يعرف الجنين حال الطفل والطفل حال المميز والمميز من العام حال العلماء والعلماء حال الأنبياء والأولياء.

فالرحمة الإلهية بحكم العناية الأزلية مبذولة على الكل غير مضنون بها على أحد، لكن حصولها موقوف على تصقيل مرآة القلب وتصفيتها عن الخبائث الطبيعية، ومع تراكم صدأها الحاصل منها لا يمكن أن يتجلى فيها شيء من الحقائق، فلا تحجب الأنوار العلمية والأسرار الربوبية عن قلب من القلوب لبخل من جهة المنعم تعالى شأنه عن ذلك، بل الاحتجاب إنما هو من جهة القلب لكدورته وخبثه واشتغاله بما يضاد ذلك.

ثم ما يظهر للقلب من العلوم لطهارته وصفاء جوهره هو العلم الحقيقي النوراني الذي لا يقبل الشك وله غاية الظهور والانجلاء لاستفادته من الأنوار الإلهية والإلهامات الحقة الربانية، وهو المراد بقوله عليه السلام: «إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء» وإليه أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه» (إلى ان قال): «قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلى من الهموم إلا هماً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس» وفي كلام آخر له عليه السلام: «قد أحيا قلبه وأمات نفسه حتى دُقَّ جليله ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه».

خبائث الأخلاق، وكان النصف الآخر تحليته بشرائف الصفات وعمارته بوظائف الطاعات.

وبما ذكر ظهر أن العلم الذي يحصل من طريق المجادلات الكلامية والاستدلالات الفكرية، من دون تصقيل لجوهر النفس، لا يخلو عن الكدرة والظلمة، ولا يستحق اسم اليقين الحقيقي الذي

قال علي عليه السلام في وصف الراسخين من العلماء: «هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون أنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى».

وقال عليه السلام في وصف الراسخين من العلماء: «هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون أنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى».

وبالجملة ما لم يحصل للقلب التزكية لم يحصل له هذا القسم من المعرفة إذ العلم الحقيقي عبادة القلب وقربة السر، وكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الظاهر إلا بعد تطهيره من النجاسة الظاهرة فكذلك لا تصح عبادة الباطن إلا بعد تطهيره من النجاسة الباطنية التي هي رذائل الأخلاق وخبائث الصفات، كيف وفيضان أنوار العلوم على القلوب إنما هو بواسطة الملائكة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب» فإذا كان بيت القلب مشحوناً بالصفات الخبيثة التي هي كلاب نابحة لم تدخل فيه الملائكة القادسة والحكم بثبوت النجاسة الظاهرة للمشرك، مع كونه مغسول الثوب نظيف البدن، إنما هو لسراية نجاسته الباطنية فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بني الدين على النظافة» يتناول زوال النجاستين، وما ورد من «أن الطهور نصف الإيمان» المراد به طهارة الباطن عن

يحصل للنفوس الصافية فما يظنه كثير من أهل التعلق بقاذورات الدنيا انهم على حقيقة اليقين في معرفة الله سبحانه خلاف الواقع، لأن اليقين الحقيقي يلزمه روح ونور وبهجة وسرور، وعدم الالتفات إلى ما سوى الله، والاستغراق في أبحر عظمة الله، وليس شيء من ذلك حاصلاً لهم، فما ظنوه يقيناً إما تصديق مشوب بالشبهة، أو اعتقاد جازم لم تحصل له نورانية وجلاء وظهور وضياء، لكدرة قلوبهم الحاصلة من خبائث الصفات.

والسر في ذلك أن منشأ العلم ومناطه هو التجرد، فكلما تزداد النفس تجرداً تزداد إيماناً ويقيناً، ولا ريب في أنه ما لم ترتفع عنها أستار السيئات وحجب الخطيئات لم يحصل لها التجرد الذي هو مناط حقيقة اليقين فلابد من المجاهدة العظيمة في التزكية والتحلية حتى تنفتح أبواب الهداية وتتضح سبل المعرفة كما قال سبحانه: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»[1].

(١) جامع السعادات للنراقي: ج١، ص٣١ـ٣٣.

عبد الله بن عفيف الأزدي

المستشهد في حب الإمام الحسين عليه السلام والدفاع عنه

من هو عبد الله الأزدي؟

هو: (عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي احد بني والبة) «راجع تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٥١»، وقد أجمعت كلمة المؤرخين سنة وشيعة، على عدّ عبد الله بن عفيف أحد شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكذلك أجمعوا على ان كلتا عينيه قد ذهبت في نصرة الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فعينه اليسرى ذهبت في حرب الجمل، واما عينه اليمنى فذهبت يوم صفين، بعد ان ضرب

ضربتين ضربة على رأسه والأخرى على حاجبيه، وكان عابدا ملازما للمسجد يصلي فيه عامة نهاره لا يكاد يفارقه إلى الليل، «راجع المصدر السابق، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص٨٣»، وكان على كبر سنه، وإصابة عينيه بالعمى شجاعا جريئا لا يخاف في الله لومة لائم، وموقفه مع عبيد الله بن زياد لعنه الله خير دليل على حسن حاله ورسوخ اعتقاده وكماله وشجاعته.

موقفه المشرف في الدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام

قال ابن اعثم في كتاب الفتوح «ج٥ ص١٢٣ ـ ١٢٦» وسنقسم كلامه إلى مقاطع ليسهل فهمها:

أولاً: سبب مواجهته ابن زياد لعنه الله

(فصعد ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال في بعض كلامه: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكذاب ابن الكذاب، فما زاد على هذا الكلام شيئا ووقف، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي رحمه الله، وكان من خيار الشيعة وكان أفضلهم وكان قد ذهبت عينه اليسرى في يوم الجمل والأخرى في يوم صفين، وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف إلى منزله، فلما سمع مقالة ابن زياد وثب قائما ثم قال: يا بن مرجانة! الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين؟ قال: فغضب ابن زياد ثم قال: من المتكلم؟ فقال: أنا المتكلم يا عدو الله، أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنك على دين الإسلام؟! واعوناه، أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد نبي رب العالمين؟!. قال: فازداد غضبا عدو الله حتى انتفخت أوداجه ثم قال: علي به، قال: فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد فانطلقوا به إلى منزله).

ثانياً: انتقام ابن زياد من عشيرته بسبب نصرتهم لعبد الله بن عفيف

قال ابن اعثم: (ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخل عليه أشراف الناس فقال: أرأيتم ما صنع هؤلاء القوم؟ فقالوا: قد رأينا أصلح الله الأمير إنما الأزد فعلت ذلك فشد يديك بساداتهم فهم الذين استنقذوه من يدك حتى صار إلى منزله. قال: فأرسل ابن زياد إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فأخذه وأخذ معه جماعة من الأزد فحبسهم وقال: والله لا خرجتم من يدي أو تأتوني بعبد الله بن عفيف).

ثالثاً: إرسال الجند للقبض على عبد الله بن عفيف الأزدي

قال: (ثم دعا ابن زياد لعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن الأشعث وشبث بن الربعي وجماعة من أصحابه وقال لهم: اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأزد الذي قد أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه، ائتوني به! قال: فانطلقت رسل عبيد الله بن زياد إلى عبد الله بن عفيف، وبلغ ذلك الأزد فاجتمعوا، واجتمع معهم أيضا قبائل اليمن ليمنعوا عن صاحبهم عبد الله بن عفيف. وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد ابن الأشعث وأمره بقتال القوم. قال: فأقبلت قبائل مضر نحو اليمن ودنت منهم اليمن، فاقتتلوا قتالا شديدا، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن عليهم. قال: وبعث إليه شبث بن الربعي: أيها الأمير! إنك قد بعثتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل قال: واشتد قتال القوم حتى قتل جماعة منهم من العرب).

رابعاً: وصول الجلاوزة إليه رضوان الله تعالى عليه

قال ابن اعثم: (ودخل أصحاب ابن زياد إلى دار ابن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت به ابنته: يا أبت! أتاك القوم من حيث لا تحتسب! فقال: لا عليك يا ابنتي، ناوليني السيف، قال: فناولته فأخذه وجعل يذب عن نفسه وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر
عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعهم وحاسر
وبطل جندلته مغادر

قال: وجعلت ابنته تقول: يا ليتني كنت رجلا فأقاتل بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة. قال: وجعل القوم يدورون عليه من خلفه وعن يمينه وعن شماله وهو يذب عن نفسه بسيفه، وليس يقدر أحد أن يتقدم إليه، قال: وتكاثروا عليه من كل ناحية حتى أخذوه. فقال جندب بن عبد الله الأزدي، إنا لله وإنا إليه راجعون! أخذوا والله عبد الله بن عفيف فقبح والله العيش من بعده.

خامساً: أخذه أسيرا إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله وقتله له رضوان الله تعالى عليه

قال: ثم أتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد، فلما رآه قال: الحمد لله الذي أخزاك، فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدو الله بهذا أخزاني، والله لو فرج الله عن بصري لضاق عليك موردي ومصدري.

قال: فقال ابن زياد: يا عدو نفسه! ما تقول في عثمان بن عفان؟ فقال: يا ابن عبد بني علاج! يا بن مرجانة وسمية! ما أنت وعثمان بن عفان؟ عثمان أساء أم أحسن وأصلح أم أفسد، الله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بين خلقه وبين عثمان بن عفان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعن يزيد وأبيه! فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين! أما إني كنت أسأل ربي عز وجل أن يرزقني الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقني إياها بعد الإياس منها وعرفني الإجابة منه لي في قديم دعائي! فقال ابن زياد: اضربوا عنقه! فضربت رقبته وصلب ـ رحمة الله عليه ـ).

مبحث إثبات التوحيد وأقسامه

سلسلة مباحث التوحيد

القسم الثالث

تعرفنا في الأعداد السابقة على وجوب الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى، وعلى بعض أدلة التوحيد، وأشرنا إلى بعض الآيات والروايات الشريفة التي تحدثت عن التوحيد، كما استعرضنا بعض الثمار العملية له، والتي يمكن للإنسان من خلالها ان يتذوق حلاوة هذا الأصل الأول من أصول الدين، كما تعرفنا على قسمين من أقسام التوحيد، وسنذكر فيما يلي قسماً آخر من تلك الأقسام والذي سنورده، مع مراعاة الاختصار وعدم التعقيد في العبارة قدر المستطاع.

٣. توحيد الخالقية أو التوحيد الافعالي

ومعنى التوحيد الافعالي أو توحيد الخالقية هو: (أن كل وجود وكل حركة وكل فعل في العالم يعود إلى ذاته المقدسة، فهو مسبب الأسباب وعلة العلل. حتى الأفعال التي تصدر منا هي في أحد المعاني صادرة عنه. فهو الذي منحنا القدرة والاختيار وحرية الإرادة. ومع أننا نفعل الأفعال بأنفسنا، وأننا مسؤولون تجاهها. فالفاعل من جهة هو الله سبحانه لأن كل ما عندنا يعود إليه: «لا مؤثر في الوجود إلا الله») «راجع الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٢٠ ص ٥٦١».

التوحيد الأفعالي في القرآن الكريم

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة توضح هذه الحقيقة، كقوله تعالى «قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ»، وكقوله تعالى «ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ»، أو كقوله سبحانه «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ»، وكقوله سبحانه وتعالى: «قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ».

هل معنى التوحيد الأفعالي هو سلب الاختيار؟

وقد حاول بعض المشككين ولقلة فهمهم وابتعادهم عن خط أهل البيت «صلوات الله وسلامه عليهم» إلقاء ذنوب المذنبين وجرائم العصاة والفساق وكفر من يكفر ونفاق من ينافق في عهدة الله سبحانه، وتذرعوا بهذا القسم من أقسام التوحيد، واستدلوا لجهلهم بهذه الآيات المباركة، وقالوا بما ان الله سبحانه خالق كل شيء، حتى حركات الإنسان وأفعاله، فيكون سبحانه بذلك هو المتسبب في صدور معاصي العباد وجرائمهم وكفرهم وفسقهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

جواب هذه الشبهة

لكن هؤلاء الجهال تمسكوا بالقشر ولم يفهموا جوهر التوحيد ولبه، وأخذوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه الآخر، لان الله سبحانه وان كان سبباً لجميع ما يصدر في هذا الكون من أفعال وحركات، إلا انه سبحانه كوّن هذا الكون وأنشأه على قوانين وقواعد تحكمه وأسباب تسيره، وسنن تتحكم به، ومن قوانينه سبحانه ان جعل الأسباب على قسمين، فمنها أسباب مسيرة مجبرة غير مختارة، كحركة الأرض ودورانها حول نفسها، أو كحركة القمر حولها، وحركتهما حول الشمس، وحركة الكواكب والمجرات الأخرى، فلا الشمس تستطيع ان تتوقف ولا الأرض تكف عن الدوران ولا القمر يملك اختيار مجاورته للأرض ودورانه حولها، فهم مجبرون مسيرون خاضعون لقدرة الله سبحانه وحكمه وسيطرة سلطانه، كما قال تعالى في «سورة يس»: «وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ

يَسْبَحُونَ » وكل من لا يملك الاختيار مثل هذه الموجودات يمكن ان ننسب أفعالها ومسيرها إلى الله سبحانه بلا أدنى تردد.

والقسم الثاني من الأسباب هو الأسباب التي تكون مختارة ولها شعور وإدراك وعقل، كالإنسان الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى القدرة والاستطاعة ومكنه من الأرض وسخر له الأسباب، ولكنه سبحانه لم يصيّره كالجمادات مسيرا، ولا كالسيارات السماوية مجبرا، بل أعطاه ثلاث ميزات إضافية شرفه بها عن غيره من الموجودات، أعطاه العقل، وزينه بالاختيار، وأدبه بالشرع والدين، فبالعقل والشرع يتعرف على محاسن الأفعال ومساوئها، وأخطار الفعل والترك وعواقبه الدنيوية والأخروية، وبالاختيار صيره مسؤولاً عن أفعاله، فان اختار الخير فبإقدار من الله سبحانه واختيار من نفسه، فيستحق بذلك المدح والثواب، وان اختار الشر فبإقدار من الله بأن جعل فيه القوة ومكنه من الأسباب، فيستحق سبحانه بذلك الشكر، وباختيار من نفسه لجانب الشر دون الخير فيستحق العبد بذلك الذم والعذاب.

وهذه من الحقائق القرآنية الثابتة والواضحة، وقد تكلم القرآن عنها في آيات عديدة منها قوله تعالى في سورة الإنسان: «إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»، وكقوله تعالى في سورة البلد: «أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ»، وكقوله سبحانه في سورة الحج: «لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ»، وكقوله سبحانه في سورة آل عمران: «سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ»، وكقوله تعالى في سورة الأنفال: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ».

ويجب أن يلاحظ على هذه الآيات لا سيما الأخيرة منها، ان الأفعال لو كانت مخلوقة لله سبحانه لما صح إضافتها إلى العباد، فقوله «ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ» أو «ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» دليل صريح على أن أفعال الكفر والظلم والشر مخلوقة للعباد منسوبة إليهم، وان الله جل قدره وتعالى عن قول المجبرة بريء من أفعالهم متنزه عن خلقها، لذلك كرر سبحانه في أكثر من آية من تلك الآيات الكريمة قوله: «وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ».

وقد أجاد الشريف المرتضى قدس الله سره ورفع في الجنة مقامه بقوله: (أما أفعال العباد فليست مخلوقة لله عز وجل، وكيف يكون خلقا له وهي مضافة إلى العباد إضافة الفعلية؟ ولو كانت مخلوقة لكانت من فعله، ولو كانت فعلا له لما توجه الذم والمدح على قبحها وحسنها إلى العباد، كما لا يذمون ويمدحون بخلقهم وصورهم وهيئتهم، ولكانت أيضا لا يتبع في وقوعها تصور العباد ودواعيهم وأحوالهم. ألا ترى أن أفعاله في العباد التي لا شبهة فيها، ولا يتبع إرادتهم، ولا يقع بحسب تصورهم) «راجع رسائل المرتضى ج ١ ص ١٣٥ ـ ١٣٦».

وفي كلمات أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى ذلك الشيخ الذي كان يعتقد ان لا اجر له ولا ثواب في مسيره وحربه في صفين مع الإمام علي عليه السلام، خير توضيح لهذه الحقيقة القرآنية، حيث قال عليه السلام له: «أجل يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر، فقال له الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال له: مه يا شيخ فوالله لقد عظم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين.

فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين. وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال له: وتظن أنه كان قضاء حتما وقدرا لازما؟ إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الأمة ومجوسها.

إن الله تبارك وتعالى كلف تخييرا ونهى تحذيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يملك مفوضا ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثا، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، فأنشأ الشيخ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته
يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا
جزاك ربك بالإحسان إحسانا».

وستأتي ان شاء الله سبحانه بقية أقسام التوحيد والمسائل المتفرعة عن كل قسم.

العوامل المؤثرة في الحوار مع الطفل

يتم الحوار مع الطفل من خلال الحديث معه والحديث مع الطفل ليس مجرد كلمات أو توجيهات تذكر للطفل، إنما هو مجموعة من الأحاسيس والمهارات والأصوات والمواقف التي يتفاعل بعضها مع بعض لنستخدمها في عملية الاتصال مع الطفل.

ويتأثر الحوار مع الطفل بالعوامل التالية :

١. نبرات الصوت

على المتحدث إلى الطفل أن يكون قادرا على ضبط انفعالاته، أي يجب أن يبتعد عن حالة الغضب لأن صراخه وغضبه سينعكس على الطفل، ويكون رد فعله أيضا بالصراخ، والطفل حين يصرخ المربي (أم أو أب) بوجهه يعتقد أن الطرف الآخر يكرهه وسيكون الطرفان أمام حلقة مفرغة من التوتر والقلق أما حينما يستطيع المربي ضبط انفعاله، والتروي قبل التحدث إلى الطفل وتوضيح السلوك الخاطئ للطفل فإن باستطاعة الطفل أن يستوعب الأمر، وأن يضبط بالمقابل انفعالاته، فالراشد هو القدوة بالنسبة للطفل في تصرفاته.

٢. وضوح الكلمات

قد يعتقد البعض من الناس أن الطفل لا يفهم الكلمات التي يستخدمها عالم الكبار فيلجؤون إلى استخدام كلمات بديلة، أو تصغير كلمات أخرى غير مفهومة في قاموس لغتنا العربية، معتقدين أن ذلك يساعد الطفل على الفهم، من ثم تكون الاستجابة أفضل، والحقيقة غير ذلك. لأن استخدام الكلمات ذاتها أي كلمات الكبار بطريقة مبسطة وفي جمل مكونة من كلمتين أو ثلاث تساعد الطفل بصورة أسرع على الحديث وعلى الفهم لحديث الآخرين فبدلا من كلمة، (نينه - نينه) نقول له (أكل) كذلك من المهم جدا ألا ندمج الكلمات، وألا نكثر من المعلومات في وقت واحد فبدلا من القول (تعال اجلس وكل طعامك) نقول أولا : (تعال اجلس) ثم نقول (كل الآن طعامك)

ومن الجدير بالذكر أن التحدث إلى الطفل يبدأ منذ اليوم الأول لولادته وقد يبدو هذا الكلام غريبا بعض الشيء إلا أن الخبرة في التربية تثبت ذلك إذ بإمكان الأم أن تتحدث إلى رضيعها ليعتاد سماع الصوت، وليعتاد نمط اللغة، فعندما تريد إطعامه تقول له هل أنت جائع تعال لنأكل هل أنت مبلل لثيابك تعال لنبدلها، وهكذا ومع الزمن سيخزن الطفل في ذاكرته هذه الكلمات الحنونة الدافئة ولو لم يفهمها بالبداية فإنها ستعزز بأفعال سارة فمجرد سماعه هذه الكلمات سيستجيب لها وستزداد ثقته بكلمات أمه وأحاديثها وهذا الأمر سيحمله معه إلى الروضة. فثقته بأمه تجعله عندما تخبره أنه سيبقى في الروضة وستأخذه بعد قليل فإنه سيثق بكلامها، وسيخفف عليه هذا الشعور من قلق الانفصال عنها عند خروجه إلى المجتمع الخارجي.

٣. المسافة بين المتحدث والطفل

يجب أن تكون المسافة بين المتحدث والطفل قريبة نوعا ما، لذا يجب أن نجلس في مستوى نظره ونكون قريبين منه حتى يسهل عليه فهم ما نطلبه منه، وحتى يعرف أهمية الحديث، وذلك لأن الطفل يتصف بعدم قدرته على التركيز على أشياء متعددة في وقت واحد، فهو لا يستطيع أن يشاهد التلفاز أو يلعب بلعبة ويسمع حديث أمه في الوقت نفسه، ونلاحظ أن كثيرا من الأمهات تلوم الطفل على عدم رده على النداءات المتكررة، والحقيقة أن الطفل لا يسمع من شدة اندماجه بالعمل الذي يقوم به.

٤. السرعة المستخدمة في التحدث

إن السرعة في التحدث مع الآخرين تجعل الكلام غير مفهوم، فقد يتحدث أحدنا إلى الطفل بلهجة سريعة مما يسبب التوتر للطفل نتيجة هذه السرعة، وسبب هذا التوتر تقصّر خبرة الطفل ومهارته في استيعاب الكلام الموجه إليه لذا علينا الاهتمام بهذه الظاهرة والانتباه إليها عن طريق التنظيم واعتماد السرعة العادية في الكلام مع إعطاء الطفل الوقت الكافي للتنفيذ.

٥. الثبات والحزم

الثبات والحزم من المهارات التي يجب أن يتعلمها الكبار في التعامل مع الصغار، وتعد هاتان المهارتان مهمتين جدا في تحقيق الأمن النفسي للطفل فالثبات في الحديث يعني عدم الخضوع للانفعالات التي نحس بها من غضب أو عطف أو غيره، والثبات في التنشئة هو مفتاح توجيه الطفل وبناء شخصيته الاجتماعية. أما بالنسبة للحزم، فالمقصود به عدم التراخي في الأنظمة والقوانين التي نقدّمها للطفل، وأن يكون حديثا متناسبا مع الموقف، فمثلا عندما نتحدث إلى طفل تعرض للأذى يكون حديثنا موجها بحنان ورقة، أما عندما نتحدث إلى الطفل الذي قام بالأذى، فإن الحديث يكون بأسارير وجه جادة وواضحة وهادئة. وكثير من المربين يخلط بين الحزم والعنف، مع أنهما ضدان، فالعنف يعني الغضب المعنوي أو الجسدي، أما الحزم فيعني الجدية والثبات والوضوح والمراقبة وتوفير الأمن للطفل وللآخرين، فعلى سبيل المثال عندما يضرب طفل طفلا آخر، هناك ثلاث طرائق للتفاعل مع هذا السلوك: العنف: ((أنت ضربت سميراً قم يا سمير واضربه)) أو ((أنت ضربت سميراً يجب أن أحرمك من اللعب هنا)).

عدم الحزم ((يا شاطر لا تضرب سميراً مرة أخرى)).

الحزم: وضع اليد على كتف أو يد الطفل والجلوس أمامه والنظر في عينه: ((أنا أعرف أنك متضايق، ولكن لن نسمح هنا بإيذاء الآخرين، وعلينا التحدث معهم اذهب وتحدث مع سمير، ثم بعد تكرارها ـ مرة أخرى ـ نمسك الطفل بالطريقة السابقة ونقول: عندما تؤذي الآخرين يلزم علينا الانفصال عنهم ـ تعال معي واجلس هنا وفكر في الموضوع لدقائق)). ومن خلال عرضنا للعوامل التي تؤثر في الحوار مع الأطفال يتبين لنا أن هذه العوامل مهمة في فتح قنوات للحوار مع الأطفال وقد يصعب على الكبار تغيير طريقتهم في التعامل مع الأطفال لأنها هي الطريقة التي تعودوا عليها نموا وترعرعوا من خلالها، سواء أكان ذلك في الحديث أم في التعامل أم في غير ذلك من التفاعلات الإنسانية، ولكن مع العزيمة والإصرار وما نضعه أمامنا من أمل في الوصول إلى راحة طفلنا، وإلى نموه الصحيح عاطفيا واجتماعيا وإدراكيا، فإننا سنثبت أمام جميع التحديات التي نواجهها سواء أكانت داخلية أم خارجية، ولنتذكر دائما أن هناك فجرا جديدا.[1]

---

١. كيف أجيب عن أسئلة طفلي وأحاوره: د. سلوى مرتضى، ص٢٩ – ٣٣.

الحلقة الثانية

عجائب القمر

تواصلاً مع الحلقة السابقة من عجائب القمر نقول:

إن من تأثير القمر اختلافات الحيوانات وتفاوت أيامها وكل ذلك مبني على ضوء القمر ونقصانه كما هو مذكور في كتب الطب.

ومنها شعر الحيوانات فإنه مادام القمر زائدا في ضوئه فإنه يسرع نباته ويغلظ ويكثر فإذا أخذ ضوء القمر في الانتقاص أبطأ نباته ولم يغلظ.

وأيضا يكثر ألبان الحيوانات في أول الشهر إلى نصفه مادام القمر زائدا في ضوئه، وإذا نقص نور القمر نقص غزارة ألبانها، وكذلك أدمغة الحيوانات تكون أزيد مما تنعقد في آخر الشهر، بل ذكروا أن هذه الأحوال تختلف باختلاف حال القمر في اليوم الواحد، فإن القمر إذا كان فوق الأرض في الربع الشرقي، فإنه تكثر ألبان الضروع وتزداد أدمغة الحيوانات، وإن حدث في أجواف الطير في ذلك الوقت بيض كان بياضه أرق من بياض البيض الذي يحدث في غير ذلك الوقت من اليوم والليلة، فإذا زال القمر وغاب عنهم نقص نقصانا ظاهرا، وهذه الاعتبارات تظهر عند الاستقراء ظهورا بينا، ومنها إذا قعد إنسان أو نام في ضوء القمر حدث في بدنه استرخاء ويهيج عليه الزكام والصداع، ومنها أن السمك الذي في البحار والأنهار يخرج أول الشهر إلى امتلائه من أحجرها ومن قعور البحار ويكون سمنها أزيد، وأما بعد الامتلاء إلى الاجتماع فإنها تدخل في قعر البحر وفي أحجرها وينقص سمنها، بل حتى في اليوم والليلة، فمادام القمر مقبلا من الشرق إلى وسط السماء فإنها تخرج سمينة فإذا زال القمر عادت إلى أحجرها ولا تكون سمينة للغاية، وكذلك حشرات الأرض تخرج من أحجرها في النصف الأول من الشهر أكثر من خروجها في النصف الثاني.

ومنها أن الأشجار والغروس إذا غرست والقمر زائد في الضوء مقبل إلى وسط السماء علقت وكبرت ونشت وحملت وأسرعت النبات، وإن كان ناقصا في الضوء زائلا عن وسط السماء كان بالضد وكل ما ذكرناه كذلك.

ومنها أن القمر من الاجتماع إلى الامتلاء تكون الرياحين والبقول والأعشاب في ذلك الوقت أزيد نشوا أو أكثر نموا، وفي النصف الآخر من الشهر بالضد من ذلك، والقثاء والقرع والخيار والبطيخ ينمو نموا بالغا عند ازدياد الضوء فأما في وسط الشهر عند حصول الامتلاء فهناك يعظم النمو حتى إنه يظهر التفاوت في الحس في الليلة الواحدة، وكذلك المعادن والينابيع فإنها تزداد في النصف الأول من الشهر وتنقص في النصف الثاني منه وذلك معروف عند أصحاب المعادن.

ومنها أن لدغة العقرب ولسعة الثعبان تكون أشد سما في النصف الأول من الشهر في حين في النصف الثاني تصبح أقل تأثيرا، وكذلك السباع تكون أشد شراسة وافتراسا لطلب الصيد مادام ضوء القمر في ازدياد إلى النصف الثاني من الشهر.

وفي اقتران القمر بالكواكب وحلوله في الأبراج تأثير خاص في حياة الإنسان، وأوضح ذلك الأحاديث الواردة في كراهية السفر والتزويج في محاق الشهر وإذا كان القمر في برج العقرب وفي وصية أرسطاليس إلى الإسكندر في اختيار الفصد والحجامة قال: إذا أردت يا إسكندر أن تفجر أو تخرج من الدم كثيرا أم قليلا وأن تقطع عرقا فلا تحاول شيئا من ذلك حتى يهل الهلال وحتى يفارق الشمس بثلاث عشرة درجة، واحذر أن يكون القمر في القوس، وهو الطالع أو في الدلو أو في الجدي أو في الجوزاء، وتحذر من نظر الشمس أو القمر والطالع في التربيع والمقابلة، وكون القمر في الاجتماع أو في بروج مائية.

واحذر أن يكون المريخ في الطالع أو مقابلا له، وكذلك زحل، وأفضل الأوقات للفصد النصف الآخر من الشهر، ليكون القمر ناقص الضوء ولا يكون في الميزان ولا في العقرب والنحوس إليه غير ناظرة، وأردأ ما يكون إذا كان في ثانيه أو ثامنه نحس.

فأما الحجامة فإذا كان القمر زائدا في الضوء ولا تنتظر إليه النحوس وخاصة المريخ ويكون القمر مع الزهرة أو تنظر الزهرة أو المشتري إليه، إذا كان موضع الطالع أو القمر له سلطان على ذلك الموضع من الجسد فلا يتعرضه، أي لا يتعرض إليه.

ومدار أمرك على إصلاح القمر وتغييه عن النحوس واتصاله بالسعود والله موفقك ومدبرك برحمته[1].

---

(١) عجائب الملكوت: عبد الله الزاهد، ص١٩٥ ـ ١٩٧ ح٢.

من معاجز
الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

ما يتعلق في شفاء المرضى

عن صالح بن ميثم الأسدي قال:

دخلت أنا وعباية بن ربعي على امرأة في بني والبة قد احترق وجهها من السجود، فقال لها عباية: يا حبّابة، هذا ابن أخيك. قالت: وأي أخ؟ قال: صالح بن ميثم. قالت: ابن أخي ـ والله ـ حقاً، يابن أخي ألا أحدّثك حديثاً سمعته من الحسين ابن علي عليه السلام؟ قال: قلت بلى يا عمة. قالت: كنت زوّارة الحسين بن علي عليه السلام. قالت: فحدث بين عيني وضح، فشقّ ذلك عليّ، واحتسبت عليه أياماً، فسأل عنّي ما فعلت حبّابة الوالبية؟ فقالوا: إنها حدث بها حدث بين عينيها، فقال لأصحابه: قوموا إليها، فجاء مع أصحابه حتى دخل عليّ وأنا في مسجدي هذا. قال: يا حبابة، ما أبطأ بك عليّ؟ قلت: يابن رسول الله، ما ذاك الذي منعني إن لم أكن اضطررت إلى المجيء إليك اضطراراً، لكن حدث هذا بي. قال: فكشفت القناع فتفل عليه الحسين بن علي عليه السلام، فقال يا حبابة، أحدثي لله شكراً، فإن الله قد درأه عنك. قال: فخرّت ساجدة. قالت: فقال: يا حبابة ارفعي رأسك وانظري في مرآتك. قالت: فرفعت رأسي فلم أحسّ منه شيئاً. قال: فحمدت الله[1].

في إحياء الموتى

عن يحيى بن أم الطويل قال: كنّا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شابّ يبكي. قال له: وما يبكيك؟ قال: إنّ والدتي توفيت في هذه الساعة، ولم توص، ولها مال، وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها حدثاً حتى أعلمك بخبرها، فقال الحسين عليه السلام: قوموا بنا حتى نصير إلى هذه الحرّة، فقمنا معه حتى انتهى إلى باب البيت الذي فيه المرأة وهي مسجّاة، حتى أشرف على البيت، فدعا الله تعالى ليحييها حتى توصي بما يجب من وصيّتها، فأحياها الله تعالى، وإذا المرأة قد جلست وهي تتشهّد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله، ثم نظرت إلى الحسين عليه السلام، فقالت: أدخل البيت يا مولاي، وأمرني بأمرك، فدخل الحسين عليه السلام، وجلس عند فخذها، ثم قال لها: أوصي رحمك الله، فقالت: يابن رسول الله، لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا، وقد جعلت ثلثه إليك، لتضعه حيث شئت من أوليائك ومواليك، والثلثين لابني هذا إن علمت أنّه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك، فلا حقّ للمخالفين في أموال المؤمنين، ثمّ سألته أن يصلّي عليها، وأن يتولّى أمرها، ثمّ صارت المرأة ميّتة كما كانت[2][3].

---

(١) بصائر الدرجات: ج٦، ص٢٩٠ – ٢٩١.
(٢) الثاقب في المناقب: ص ٣٤٤ – ٣٤٥، ح٢.
(٣) المعاجز والكرامات للشيخ فاضل الصفار: ١٠٦ – ١٠٧.

صدر حديثاً عن **وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام** في

قسم الشؤون الفكرية والثقافية دراسة بعنوان (الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام) وهي أول دراسة إسلامية في علم الإناسة المعاصر. وقد ركزت الدراسة في مباحثها الأربعة على دراسة الإنسان الكوفي من خلال الإناسة الاجتماعية الثقافية وما توصل إليه العلماء الأناسيون في دراسة العوامل التي تقوم بتغيير الإنسان وتحويله من صفة الخير الى صفة الشر وعرض هذه العوامل على مدرسة عاشوراء لمعرفة مدى انطباق هذه النظريات الاناسية على الإنسان الكوفي الذي خرج لقتال الإمام الحسين عليه السلام.